مراحله الأولى يصور لنا أدوار التكون والمخض والولادة ، وانى لشديد الأمل برؤية الآداب السوفيتية قد كبرت واشتد ساعدها ، فأصبح الكاتب فى كنف الحقيقة الماثلة ، فاتحة له صدرها يضمها بكلتا يديه

إن الأدب الخالد الذى تقبله النفوس وتقدم عليه بشغف يتجدد فى كل حين ، لاينقطع لسد حاجة وقتية تنبعث عند طبقة من الناس ، فى وقت من الأوقات ، وعلى هذا الأساس ، فان حكومة السوفييت لم تقتصر على طبع الآثار والمؤلفات التى جادت بها قرائح كتابها وشعرائها ، فانها عنيت عناية فائقة بنشر أشعار بوشكين ، وتمثيل مسرحيات شكسبير ؛ ولم تقل قط بأن أدب كتابها مرسوم له الخلود ، ولا هى تستبعد أن يكون نتاج هؤلاء الكتاب صائرا إلى الزوال بزوال الحاجة التى دفعت اليه ، مادام الزمن لم يحكم حكمه عليه ، وإذا كان هنالك من شىء يمسخ الفائدة التى يمكن أن يجنيها الناس من قراءة الكتب وانشاء الأشعار ، فما هى إلا أن ترسم لهم الأمثولة ويحدد لهم المغزى ، وفى التدليل الكثير على العظة التى تتضمنها الكتب ضياع لمسحة الجمال التى يتميز بها الأدب ، ويصبح بذلك ضرباً من ضروب الوعظ الجافة

ليس مما يضير القراء ألا يوفقوا كلهم إلى غاية واحدة ، فان فى استطلاعهم اياها فى أجواء مختلفة فائدة لا تقدر ، وفى ذهابهم مناحى متباينة بعد عن أن تكون هناك سلطة يستهذون بها . هذا والثقافة كانت لجلاء الذهن واطلاق الفكر قبل أن تكون عامل ارشاد وتهذيب

تتوجه أنظار المفكرين ، فى هذا الزمن ، الى الرانتشال الانسانية من وهاد الاضطهادات التى تردت فيها ، وانى لا أقدر لهؤلاء المفكرين أن يظل الانسان موضع اهتمامهم يوم يفلت من قيده وينطلق حراً شريفاً ، فلا يعنون به إلا خانعاً ذليلاً أو غرا جهولاً ، بل ولقد أسبغ على نفوسنا طول تحدثنا عن البؤس وتغنينا بمحامده ومزاياه حلة من الخنوع والاستكانة لاتليق بها

جميل أن نحلم بمجتمع تسم نماؤه الأفراد ، وأجل منه أن نوقن بقرب قيام هذا المجتمع ؟

ترجمة وتلخيص ماجد شيخ الأرض

٣ ـ الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند الحديثين فى العصر الحاضر

« ان موتى قد أوقد النار القديمة فى بلاد إيران ولكن العرب لا يعرفون شيئا عن غناتى الشجية »
(اقبال)

لأبى النصر أحمد الحسينى الهندى

بدأ الدكتور يقول الشعر فى أول الأمر من نوع الغزل ثم باشر أنواع الشعر الأخرى مثل : « مثنوى » و « قصيدة » و « رباعى » و « قطعة » و « مسدس » فأجادها إجادة تخلب القلوب ، غير أن كمال شعره ليس فى هذه الأشكال والقيود الظاهرية ، بل فى ابتكار المعانى ، وإبداع البيان ، ودقة الفكر ، وسمو الخيال ، وحسن التركيب والتشبيه ، وقوة الكلام التى يشتمل عليها شعره . فأنت ترى كيف أن تلك الصفات أورثت التصوير حسناً ورونقاً فى قصيدته « الأمنية » التى طلب فيها من الله أن يخرجه من ضوضاء هذا العالم ويسكنه محلاً هادئاً ذا منظر بهيج . قال فى وصف ذلك المنظر :

« ... فلتكن (فى ذلك المحل) الأشجار مصطفة فى جانبين يرسم صورتها ماء النهر الصافى ، وليكن منظر الجبال فيه فتاناً إلى درجة أن يقوم الماء فى شكل الأمواج لرؤيته ، ويمس الماءَ فرعُ الورد مائلاً كأن حسناء ترى وجهها فى المرآة ، وعندما تحنّى الشمس عروس الليل تلبس الأزهار كساء ذهبياً مشرباً حمرةً ... الخ »

وقال فى وصف الحباحب الطائرة ليلاً فى الحديقة :

« إن نور الحباحب يلمع فى معمورة الحديقة كأن الشمع منور فى محفل الأزهار ، أو نجمة قد جاءت طائرة من السماء ، أو شعاع القمر قد نفخ فيه الروح ، أو سفير النهار قد جاء فى سلطنة الليل فكان خاملا فى وطنه وبرز فى الغربة . أو زر قد وقع من قباء القمر أو ذرة قد ظهرت من قميص الشمس . إن فى هذا القمر الصغير نوراً وظلمة فكأنه يخرج من الخسوف حيناً ويدخل فيه حيناً ... الخ »

إن الدكتور إقبال ليس بشاعر فقط بل هو مفكر وفيلسوف أيضاً من الطراز الأول ، وهذا الأمر يزيد شعره حسناً وجمالاً

ورونقاً وكمالاً : فقد قال كوليريج الشاعر المفلق الناقد الأديب الانجليزي الشهير : « لم يكن ولن يكون أحدٌ شاعراً كبيراً مجيداً بغير أن يكون في نفس الوقت فيلسوفاً ومفكراً دقيقاً . لأن الشعر أرج علم الانسان وأفكاره وشعوره وعواطفه ولغته قاطبة . » ففي الشعر يقدر الشاعر الفيلسوف أن يعالج أمراً من أمور الفلسفة الدقيقة ، وعر الملتمس منيع المطلب ببيت واحد ، في حين أنه لا يقدر على معالجته بصفحات من النثر . فأنت ترى كيف أن إقبالاً بين لك في بيت واحد فلسفة الحياة ، ثم نبهك على مواضع الضعف فيك ، وفي هذا التنبيه منه لك تحريض أيضاً على الأعراض عما أنت فيه قال :

حيات چيست جهان را أسير جان كردن
توخود - أسير جهانى بجاتوانى كرد

« ما هي الحياة ؟ هي أن تستأسر العالم لنفسك
(ولكن) مادمت أنت أسيراً للعالم فكيف يمكن لك ذلك »

وقال في بيت آخر ما ترجمته :

« إن الحياة هي أن تخلق اللؤلؤ في صدفك
وأن تنفذ في قلب اللهيب ولا تذوب »

وقال في فلسفة الحياة أيضاً مخاطباً قلبه ما ترجمته :

« أيها القلب تعلم من البرعوم سر الحياة ،
فان الحقيقة ليست بمحجوبة في مجازه
فانه قد نبت من التربة المظلمة ،
ولكن نظره (دائماً) إلى شعاع الشمس »

يجيد الدكتور الانجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية والاردية ، ويعرف السنسكريتية والعربية أيضاً ، ويقول الشعر بالفارسية والاردية . وجميع مصنفاته التي ظهرت الى الآن هي كما يلي :

١ — مصنفاته شعرا :

١ — بابك درا (أي صوت الجرس) : وهو ديوان باللغة الاردية يحتوي على أنواع الشعر المختلفة من باكورة شعره

٢ — أسرار خودى (أي أسرار الأنانية) : وهو أول دواوينه باللغة الفارسية وشعره من نوع المثنوي . نشره في سنة ١٩١٦ ، ويحتوي على مباحث إسلامية فلسفية دقيقة للتربية الأنانية . وقد ترجمه المستشرق الشهير الدكتور نكلسن الى اللغة الانجليزية

٣ — رموز بيخودى (أي رموز إنكار الأنانية) : وهو الديوان الثاني باللغة الفارسية وشعره من نوع المثنوي نشره في سنة ١٩١٨ ، وهو كالتكملة للأول لتكوين الأنانية العليا وتربيتها

٤ — پيام مشرق (أي رسالة الشرق) : وهو ديوان باللغة الفارسية يحتوي على أنواع الشعر المختلفة ، نشره في سنة ١٩٢٣ وقد صنفه رداً على « الديوان الغربي » للشاعر الفيلسوف الألماني الشهير جوتيه . وقد ترجمه الدكتور نكلسن الى الانجليزية

٥ — زبور عجم : ديوان باللغة الفارسية وشعره من الأنواع المختلفة ، ويحتوي على أرق العواطف وأدق الأفكار الفلسفية . نشره في سنة ١٩٢٦

٦ — جاويد نامه (أي كتاب جاويد) : وهو ديوان باللغة الفارسية نهج فيه الشاعر منهج فاوست لجوتيه ، ويحتوي على أدق الأفكار الفلسفية الاسلامية . وقد نسبه الى أصغر أبنائه المسمى « جاويد » . نشره في سنة ١٩٣٢

٧ — مسافر : وهو ديوان صغير باللغة الفارسية ، شعره من نوع المثنوي ، يحتوي على ما جادت به قريحته حين سافر الى افغانستان تلبية لدعوة المغفور له جلالة الملك نادرشاه خان ملك افغانستان في سنة ١٩٣٣

٨ — بال جبريل : ديوان باللغة الاردوية ، يشتمل على ما جادت به قريحته عند زيارته الآثار الاسلامية في الأندلس ونشره سنة ١٩٣٥

٢ — مصنفاته نثرا :

١ — السياسة المدنية : صنفه باللغة الاردية وهو أول مصنفات الدكتور

٢ — تاريخ التقدم الفكري في بلاد إيران : وقد نال بتقديم هذا الكتاب شهادة الدكتوراه من ألمانيا

٣ — المحاضرات الست : وهي التي ألقاها في الجامعات الهندية ، وتحتوي على فلسفة الالهيات الاسلامية

لقد طال بنا الحديث ونحب أن نختمه بكلمتين وجيزتين : منزلة شعر اقبال في الهند : وصداه في العالم ، فأما منزلة شعر اقبال في الهند ، فلشعره رسالة ستعرفها حين نفرد لها مقالاً في المستقبل إن شاء الله . والرسالة إذا قامت لا بد أن تجذب ما حولها الى نفسها كذلك شعر اقبال ، ولا يتسع المجال هنا لأن

نستقصي رأي جميع طبقات الهيئة الاجتماعية الهندية في شعر اقبال لاباة جاذبيته ومنزلته . وإنما نكتفي برأي طبقة الشعراء لأنهم أدرى بحقيقة فنه ودقائقه

إن الشعراء في الهند كثيرون فمنهم من يجيد الشعر بالأردية ومنهم من ينشئه بالفارسية ، ومنهم من يتقنه باللغتين ، ولكن إقبالاً أسبقهم غير مدافع ، وأفضلهم غير معارض ، ولشعره بينهم القدح المعلى ، فقد اتفقوا جميعاً على أنه هو شهابهم الساطع ، وبدرهم الطالع ولقبوه « بترجمان حقيقت » (أي المعبر عن الحقائق) وقد شدا غير واحد منهم ناشراً طراز محاسنه في المجالس ، وناثراً لآلئ وصفه في المحافل بالأبيات والقصائد نقتطف بعضها هنا . قال مولانا غلام قادر گرامي [1] وهو من كبار شعراء الهند ويقول الشعر بالفارسية :

در دیده معنی نگهان حضرت إقبال
پیغمبری کردو پیمبر نتوان گفت

« إن في رأي أرباب النظر قد قام حضرة إقبال بعمل النبوة ولا يمكن أن يقال له نبي »

وقال الشاعر فكار — وهو من مسقط رأس إقبال ويقول الشعر بالفارسية والأردية — وهذه ترجمته :

« إنك قد جئت بكأس من الحانة القديمة وبنغمة داودية من وتر الرباب »

« يا طبيب روح الأمة ! أنت قد جئت بعهد الشباب في دين ابراهيم بدواء الفلسفة »

« وقد كشفت عن نفسك بواسطة (رموز إنكار الأنانية [2]) يا أبا الحكمة أنت قد جئت بالنهر من السراب »

وقال السيد بشير أحمد اخگر — وهو من كبار الشعراء باللغة الأردية — وهذه ترجمته :

« إن وجودك لي سبب الحياة . إن أسرار أنانيتك [3] لي باعث زيادة الهمة »

« إن رموز (إنكار الأنانية [1]) قد حل العقد . إن (صوت الجرس [2]) قد أصبح لي دليل الطريق »

« إن روح (غالب [3]) وحنو (مير [4]) في قلبك يا إقبال إن حسن ليلى الشعر مخفي في محملك [5] هذا »

أما صدى شعر إقبال في العالم ، فلشعر إقبال في أفغانستان مرتبة لا يشق غبارها وعزة لا يدرك شأوها ، إذ لا تقام حفلة من حفلات الحكومة إلا وتهز فيه فرق الموسيقى الحكومية قلوب الحاضرين بأناشيد إقبال وبخاصة « نشيد المسلم » منها . وقد نشر أقا هادي حسن وزير التجارة مقالات في شعر إقبال . وبخاصة عن ديوانه « رسالة الشرق » في مجلة « أمان أفغان » التي تصدر بكابل

ولم تخل الجرائد والمجلات في ايران تنويهاً بشعر اقبال ، كما أن أهل العلم والأدب فيها يحيطون به خبراً ، ويثنون عليه أطيب الثناء

وفي تركيا ترجم كثيراً من شعر اقبال إلى اللغة التركية الكاتب المفكر الكبير حسين دانش ، وكتب مقالات عديدة عن ديوانه « رسالة الشرق » وبسط نظرياته فيها

وسافر أحد علماء روسيا إلى الهند ليلتقي بالدكتور اقبال فقط ، ثم نقل إلى اللغة الروسية نظريات الدكتور التي في ديوانه « أسرار الأنانية »

وفي مصر نشر غير مرة صديقنا الفضال الدكتور عبدالوهاب عزام ترجمة بعض المقتطفات من شعر اقبال

وفي ألمانيا ترجم الأستاذ دايشو ووسو مقدمة ديوانه « رسالة الشرق » إلى اللغة الألمانية ، كما أن الدكتور فيشر الأستاذ بجامعة ليبزيج وصاحب مجلة « اسلاميكا » كتب مقالات عن الديوان « رسالة الشرق » ، وقارن فيها شعر اقبال بشعر الشاعر الألماني الشهير جوتيه ، وترجم الشاعر الفيلسوف الألماني هانس ماينيكه قطعة من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الألمانية ثم كتبها بيده وجلدها تجليداً جميلاً على الطراز الشرقي موشى بالذهب والفضة أهداها إلى الدكتور اقبال تقديراً لشعره واظهاراً لحسن اعتقاده فيه . وقد أنشئت أخيراً جمعية باسم اقبال لتعريف شعره ونشر مبادئه في ألمانيا . وتترجم في ألمانيا الآن محاضرات الدكتور

(١) توفي رحمه الله في سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وكان من عشاق شعر إقبال . فما قرب من الموت كان يردد هذا البيت على لسانه :

صبابه بحضرت إقبال اين پيام ده
كه رفت جان كرامي وتوهنوز خموش
أيتها الريح بلغي رسالتي هذه الى حضرة اقبال ان
روح كرامي قد طارت وأنت لازلت ساكتاً

(٢) اسم لديوان اقبال (٣) اسمان لديوان اقبال

(١) اسم لديوان اقبال (٢) اسمان لديوان اقبال
(٣) غالب كان رأس شعراء اللغة الأردية ، فهو بمثابة شكسبير وجوته بالأردية (٤) ميركا أحد كبار شعراء اللغة الأردية
(٥) يريد به قلبه